

الوسم على السكة من قيام الدولة الإسلامية وحتى عام 77هـ

د. عادل المبروك الفار •

تاريخ النشر: 2023/12 /31

تاريخ القبول: 2023/10 /28

تاريخ الارسال: 2023/9 /25

المستخلص:

رغم أن موضوع المسكوكات الإسلامية في أوج ازدهارها وما تحملها من معانٍ مختلفة - سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفنياً - من المواضيع التي تمت دراستها في كثير من المؤلفات، إلا أن هناك جانب في هذا الموضوع لم يتطرق اليه البُحاث غالباً إلا بشكل عابر ومختصر، هذا الموضوع يتعلق بالخطوات الأولى لنشأة النقد الإسلامي في عصر الدولة الإسلامية المبكرة -فترة حياة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده وبدايات الدولة الأموية-، وربما كان هذا الاختصار نتيجةً لقلّة المعلومات الواردة من هذه الفترة، بالإضافة الى ندرة الأدلة المادية التي يمكن من خلالها استخلاص معلومات مؤكدة عن مسيره المسكوكات في دولة الإسلام منذ النشأة وحتى استقلال الإقتصاد الإسلامي عن التبعية للرومان والفرس وذلك بدايةً من عام 77 هجري .

في هذه الدراسة سأحاول من خلال الاعتماد على بعض المصادر والأدلة تتبع الخطوات الاولى للسماة الفنية التي حملتها المسكوكات الإسلامية بدايةً من مرحلة التبعية مروراً بمحاولات التعريب، وصولاً الى العملة الإسلامية الخالصة.

الكلمات المفتاحية: المسكوكات، الدولة الإسلامية، النقد الإسلامي.

Abstract:

Although the topic of Islamic coins at the height of their prosperity and the various meanings they carry - politically, economically, socially and artistically - are among the topics that have been studied in many literatures, there is an aspect of this topic that researchers have often not addressed except in passing and briefly. This topic is related to the steps The first is due to the emergence of Islamic criticism in the era of the early Islamic state - the period of the life of the Messenger, peace and blessings of God be upon him, the Rightly Guided Caliphs after him, and the beginnings of the Umayyad state -, and this brevity may have been a result of the lack of information received from this period, in addition to the scarcity of material evidence from which it is possible to extract certain information about the course of coins. In the Islamic State from its inception until the independence of the Islamic economy from subordination to the Romans and Persians, beginning in the year 77 AH.

In this study, I will try, by relying on some sources and evidence, to trace the first steps of the artistic features carried by Islamic coins, starting from the stage of subordination, through attempts at Arabization, and reaching pure Islamic currency.

Keywords: Coins, the Islamic State, Islamic criticism

• أستاذ مشارك تخصص الآثار الإسلامية

قسم الآثار / مدرسة الإعلام والفنون / الأكاديمية الليبية-جنزور

المقدمة:

لعبت النقود المعدنية المسكوكة منذ ظهورها في بدايات القرن السابع قبل الميلاد دوراً كبيراً في حياة المجتمعات البشرية، فقد كانت المؤشر والمعيار الذي تتم بواسطته تقييم العديد من الجوانب الخاصة بتلك المجتمعات، فهي الدليل على الرخاء الاقتصادي والتقدم العلمي والازدهار الحضاري والمستوى الفني والتنظيم السياسي والتلاحم الاجتماعي والتفوق العسكري.

وعند الحديث عن هذا الجانب في الحضارة الإسلامية تحديداً يجب أن ندرك أن الدولة الإسلامية لم تصل إلى الازدهار الحضاري دفعه واحدة، ولكن ذلك كان نتيجة لجهود متواصلة بدأت بزراعة البذور الأولى للحضارة بعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة ومن ثم رعايتها والعمل على تقويتها إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه فيما بعد من التطور والرفي بمختلف جوانبه.

في هذا البحث سأحاول دراسة جانب من جوانب هذا التطور والمتعلق بالنقد المستخدم في اقتصاد الدولة الإسلامية قبل سك النقود الإسلامية الخالصة في عصر الدولة الأموية وتحديداً عام 77 هجري في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، وسأقوم بربط ذلك بالتطور الاقتصادي والسياسي والفني للدولة الإسلامية في هذه الفترة المبكرة من حضارتها.

ما هو علم المسكوكات :

يُعرف اصطلاحاً بعلم التُميات (Numismatics) هو العلم الذي يهتم بدراسة تلك القطع النقدية التي تصدرها السلطة الحاكمة من المعادن المصهورة أو المطروقة على اختلاف أنواعها من دنانير ذهبية ودرهم فضية ونحاسية، هذا العلم يستطيع أن يعيد لمخيلتنا صوراً حية لإمبراطوريات ودول اندثرت منذ زمن بعيد، وذلك من خلال الصور الجميلة الرائعة التي نُقشت على نقودها، فالنقود أكثر بقاء من الشعوب والأماكن التي مثلتها، حيث ذهبت الإمبراطوريات الرومانية والفارسية والدول الإسلامية وغيرها من الدول وتركت لنا مسكوكاتها لتخبرنا تفاصيل كثيرة عنها في جوانب مختلفة منها السياسية والاقتصادية والدينية، وبذلك تعتبر النقود أو المسكوكات أحد مصادر المعلومات المهمة التي لا تقبل الشك باعتبارها كانت خاضعة لأعلى سلطة سياسية في الدول قديماً وحديثاً (عبدالرزاق، 1988، ص5).

وحيث أنه لكل علم من العلوم المختلفة علوم مساعدة توفر معلومات أكثر وتفاصيل أوفى، فإن علم المسكوكات يعتبر علماً مساعداً لعلمي الآثار والتاريخ، فهو يضع بين أيدي باحثي الآثار والتاريخ تفاصيل كثيرة ما كانت لتُعرف لولا مساعدة علم المسكوكات، ففي الجانب التاريخي تمثل الرموز والمعلومات المدونة على وجهي العملة المسكوكة مصدراً تاريخياً لمعرفة الكثير من المعلومات المتمثلة في تاريخ الصنع والفترة

التاريخية التي صنعت فيها وكذلك اسم الملك أو السلطان أو الإمبراطور أو الخليفة التي ضربت في عهده القطعة النقدية.

تلك المعلومات التي تُعتبر مصدراً تاريخياً وثيقاً لا مجال للشك في تفاصيله، أما في مجال علم الآثار فإن المسكوكات توفر للباحثين الأثريين معلومات من نوع آخر لها علاقة بمجال الاختصاص، فالرموز والزخارف والصور وكذلك الأشكال تعطي فكرة وافية عن مستوى التطور الفني والزخرفي الذي وصلت إليه الدول القديمة، ومن خلاله يمكن الحكم بشكل عام على ازدهارها من خلال الجانب الفني والزخرفي والذي تعتبر المسكوكات أحد مجالاته المتعددة (www.daralfiker.com/sites/default/files/books_first_chapter/lmskwkt_lslmy.pdf.P27).

تعريف المسكوكات:-

كلمة مسكوكات جمع مسكوكة، وهي القطع النقدية المصنوعة من المعدن (ذهب-فضة - نحاس)، والتي تحمل ختماً من السلطة السياسية العليا من أجل ضمان وزنها ودرجة نقاء المعدن فيها .

من خلا هذا التعريف لابد من الإشارة الى أن المسكوكات لا تُعتبر ذات قيمة في عمليات التبادل التجاري المعروفة إلا إذا كانت مصنوعة من المعادن المعروفة والتي لها قيمة ثابتة كالذهب والفضة، وأيضاً لابد وأن تحمل ختماً أو رسماً من السلطات السياسية العليا من أجل ضمان وزنها ونقاءها وجودتها منعاً لعمليات الغش فيها .

تعريف الوسم :

الوسم لغةً وَسَمَ الشيء كواه فَأَثَّرَ فيه بعلامة، ويقال هو موسوم بالخير وبالشر، ووسم فلاناً غلبه في المواسمة، ووسم فلاناً بوسام ميزه به، والجمع وسوم أو سمات، وذكر الوسم في القرآن الكريم على أنه العلامة، فقال الله تعالى: (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ) • اي سنوضحه امره توضيحاً يجعل الناس يعرفونه فيكون على أنفه علامة ظاهرة .

والوسم في مجال السكة هو اختصار معين أو رمز أو صورة أو كتابة تُضرب على المسكوكة بقالب اضافي على وجه واحد من النقد، اي ضرب المسكوكة ثانياً بوسمها بعد صنعها او سكتها.

اهميه الوسم : ويُستعمل الوسم في حالات الطوارئ ليكسب المسكوكات ضمان بواسطة سلطة حديثة، او عندما ينضوي اقليم أو مكان جديد تحت سيطرة دوله ما، كما انه يطيل عمر المسكوكة الممسوحة او يزيد مساحه المنطقة التي يجري فيها تداولها، ويغير ايضا القيمة الموجودة عليها سابقاً الى حين اصدارها من

جديد عن طريق السلطة نفسها التي وسمتها من قبل، ويمكن ان يكون الوسم لأغراض عسكريه خاصة، ويمكن ايضا ان يكون لبيان جودة عيار النقود المخصصة المستخدمة في المناسبات العامة والخاصة(أباضة، 2011، ص114-186).

لمحة تاريخية عن ظهور المسكوكات:-

استخدمت المجموعات البشرية الأولى قبل معرفتها للنقد كوسيلة للتعامل والتبادل نظام المقايضة والمبادلة بالمنتجات والموارد والخامات الطبيعية، الزراعة الحيوانية والصناعية المختلفة لتأمين مستلزماتها واحتياجاتها اليومية الضرورية، فالمقايضة إذاً هي الطريقة التي استعملها الإنسان لتوفير ما يحتاج إليه ولا يستطيع الحصول عليه بنفسه، حيث اتجه الى مبادلة ما يملكه من منتجات بسلع أخرى يحتاجها ولا تتوفر لديه، واستمر في توفير احتياجاته بهذه الطريقة فترة طويلة من الزمن، لكن وبمرور الوقت ظهرت بعض المشاكل التي أصبحت تعرقل عملية التبادل التجاري بواسطة نظام المقايضة، هذه المشاكل التي تمثلت في الاختلاف حول تقدير قيمة كل سلعة من السلع، فكل طرف من أطراف التبادل التجاري كان يرى أن قيمة سلعته اكبر، وبالتالي فهو يريد كمية أكبر من السلع الأخرى حتى تكافئ قيمة السلعة التي لديه، ومن هنا فإن كثير من عمليات المقايضة أُلغيت بسبب تلك المشكلة، وكان على الإنسان أن يفكر في طريقة لضبط التبادل التجاري بعملية المقايضة وتحديد قيمة ثابتة للسلع الداخلة في هذه العملية .

وقد اهتدى الإنسان الى حل هذه المشكلة من خلال استعماله لما يُعرف بالسلعة الوسيطة، وهي سلعة ذات قيمة ثابتة يمكن أن تستعمل للمقايضة مع مختلف السلع الأخرى على أن تُحدد قيمة السلع الأخرى بمقياس السلعة الوسيطة وذلك لأن هذه السلعة ذات قيمة محددة وثابتة، وعلى مر العصور عرف الإنسان العديد من أنواع السلع الوسيطة والتي استعملها في توفير ما يحتاجه من خلال مقايضتها، حيث تشير الدلائل والدراسات التاريخية والأثرية على استخدام الصينيين القدماء مثلاً لمادة المحار والأصداف البحرية كسلعة وسيطة في تسيير معاملاتهم التجارية اليومية.

وكذلك استعمال الشعوب اليونانية القديمة للأسلحة والأدوات الحربية التي كانت قد اشتهرت بتصنيعها كمادة رئيسية في عمليات التبادل والتقايط التجاري العيني مع الشعوب المجاورة، أما في إفريقيا فقد أستخدم سكانها جلود الحيوانات والملح والعييد كسلعة معتمدة في نظام المقايضة على المنتجات نظراً الى غنى القارة بهذه المنتجات، أما سكان بلاد الرافدين، تشير الوثائق والنصوص الكتابية القديمة إلى اعتمادهم الشعير المنتج في أراضيهم، ومعدن الفضة المستخرج من مناجم بلاد الرافدين، كسلعة وسيطة متعارف عليها في عملياتهم التجارية مع الجوار، وعلى المستوى المحلي فقد اشتهرت ليبيا بإنتاج نبات السيلفيوم الذي كان سلعة

مرغوبة في كل أنحاء العالم القديم حيث كانت تستعمل للأغراض الغذائية والعلاجية، ومن هنا فقد كان السيلفيوم مناسباً لأن يتخذة الليبيين كسلعة وسيطة من أجل توفير ما يحتاجونه من خلال مقايضته بها .

غير أن الصعوبات الناجمة عن عدم أو إمكانية تقسيم المواد الوسيطة المستخدمة في المقايضة والمبادلة، وكذلك تفاقم الجهد والتكاليف الناجمة عن صعوبة عملية المحافظة على حياة الحيوانات والعبيد الذين استعملوا كسلع وسيطة أحياناً، وضرورة تأمين وتجهيز الأماكن الخاصة بإقامتها ورعايتها، هذا إلى جانب عدم إمكانية تأمين وتجهيز المخازن والمستودعات المناسبة لحفظ الحبوب، وعدم تحمل الكثير من المواد الوسيطة للخزن الطويل، كل ذلك دفع الإنسان إلى التفكير والبحث عن سلعة وسيطة أخرى، تكون أصغر حجماً، وأقل كلفة في الحفظ والتخزين والمبادلة، الى جانب تمتعها بقيمة ثابتة، وكان ذلك التفكير متزامناً مع اكتشاف الإنسان القديم لمعدني الذهب والفضة، ومن ثم إدراكه لخواصه الفيزيائية، وسهولة تصنيعها وتقطيعها وقولبتها عند صياغة الحلي ومن ثم ارتفاع أثمانها، ومحافظتهما على قيمتها الشرائية على الرغم من تباين الوضع الاقتصادي للمجتمعات بين فينة وأخرى.

وهو ما دفع المجتمعات القديمة إلى اعتمادها كأساس ومحور موثوق في عمليات التبادل والمقايضة بين المجتمعات كافة، حيث تشير الدراسات التاريخية إلى اعتماد المصريين القدماء لقضبان الذهب الخام الخالي من العلامات والرموز كمادة وسيطة مستخدمة في عمليات التبادل والمقايضة التجارية، التي كانت تتم من خلال الاتفاق بين البائع والشاري على مقدار وحجم القطعة الذهبية المعادلة للسلعة المراد مبادلتها بحيث يقوم المشتري باقتطاع جزء من القضيب الذهبي ومقايضته بالبضاعة المراد اقتناؤها.

غير أن عملية المبادلة بالقطع الذهبية والفضية الخالية من العلامات والرموز التي يتم قطعها عند المقايضة ما لبث أن أخذت بالتراجع نتيجة الصعوبة الكامنة من عدم تمكن كلا الطرفين من تحديد القيمة الحقيقية للقطعة، ومن ثم اضطرار التاجر أو البائع إلى إعادة صهر الحبيبات والقطع المتجمعة لديه وتحويلها إلى قضبان من جديد وما ينجم عن ذلك من صعوبات لذا كان لابد من التفكير بأساليب أخرى تعينهم على عمليات القص والقطع والصهر، وذلك من خلال تصنيع بعض الحبيبات الذهبية والفضية ذات الوزن المحدود (الشيخ، 2004، ص364).

غير أن تزايد عمليات الغش الناجمة عن عدم تحديد الوزن والقيمة الشرائية لكل قطعة بسبب صعوبة تقدير قيمتها الوزنية بواسطة النظر، قد دعا القائمون على تصنيع النقد بتثبيت الوزن الشرعي والقيمة المادية للقطعة الذهبية أو الفضية على أحد وجهيها عند سكها أو ضربها، وذلك من خلال نقش أحد سطحي المسكوكة ببعض الرسوم والأرقام التي توضح وتحدد قيمتها الوزنية والشرائية، هذا ما دعا الدارسين لتاريخ المسكوكات وتطورها إلى اعتبار التاريخ الذي استخدمت فيه عملية النقش للمسكوكة، بداية لتاريخ النقد الذي

سيطر على أسلوب التعامل التجاري بين المجموعات البشرية مكان التعامل العيني، واحتل مكان الريادة في الموازنات الاقتصادية للشعوب والدول، التي بدأت تقيم اقتصادها بمقدار ملكيتها من المسكوكات الذهبية الفضية الصحيحة السكة والضرب، وقد حدد هؤلاء المختصون تاريخ بداية ظهور الأختام على القطع المعدنية بحوالي نهاية القرن الثامن ق.م أو بداية القرن السابع ق.م. وبالتالي يمكن اعتبار هذا التوقيت هو البداية الفعلية لظهور المسكوكات (عبدالرزاق، 1988، ص ص 6-7).

المسكوكات والتعاملات التجارية عند العرب قبيل الإسلام

لقد اشتهرت بلاد العرب قديماً بحركة التبادلات التجارية والأسواق المزدهرة التي كانت تباع فيها كل السلع التي يحتاجها السكان آنذاك، كما عُرف العرب بالذات بقوافلهم التجارية التي كانت تنقل البضائع المختلفة من وإلى بلاد العرب، وربما كان الدليل الأكيد على ذلك ورود إشارات عن هذا الازدهار التجاري في القرآن الكريم الذي أشار إلى رحلتي الشتاء والصيف اللتين كان يقوم بها العرب إلى مناطق الحضارة المجاورة لهم والمتمثلة في بلاد الشام وبلاد اليمن، حيث يقول الله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾  لِإِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ 

كما أن حديث جل المصادر التاريخية عن الأسواق الرائجة التي تعقد بشكل موسمي في شتى أنحاء بلاد العرب وأهمها على الإطلاق سوق عكاظ الذي يُعقد سنوياً في مكة المكرمة لهو دليل آخر على أهمية التجارة ورواجها لدى العرب قبيل ظهور الإسلام .

ولمّا كانت النقود المسكوكة هي الوحدة الرئيسية المستعملة في التبادلات التجارية التي تحدث في تلك الأسواق فإن السؤال هنا هو: هل كان للعرب قبيل الإسلام وحتى في الفترة الإسلامية الأولى نقود مسكوكة خاصة بهم؟ وهل توجد دور لسك أو صناعة العملة آنذاك؟ .

وللإجابة على هذا التساؤل نقول بأنه لم يكن للعرب قبل الإسلام وحتى في بداية العصر الإسلامي نقوداً خاصة بهم، والأسباب في ذلك متعددة لعل أهمها حياة البداوة التي كان يعيشها العرب آنذاك، وعدم وجود الأيدي العاملة المتخصصة في ضرب المسكوكات، إلى جانب عدم وجود دور لضرب السكة، وكذلك كان المسلمون في صدر الإسلام منشغلين بالفتوحات والجهاد في سبيل الله فلم يكن لهم الوقت من أجل الاعتناء بصناعة وسك النقود .

إذاً وفي ضوء عدم امتلاك العرب لعملة خاصة بهم الفترة التي سبقت ظهور الإسلام وحتى في بداية العهد الإسلامي، ولمّا كانت النقود هي الأساس التي تركز عليه جل التعاملات التجارية في مختلف الفترات

الزمنية فإن السؤال المطروح هنا هو: ما هي العملات التي كان العرب يستخدمونها في إتمام تبادلاتهم التجارية التي كانت تتمثل في جلب البضائع و تصديرها من خلال قوافلهم التي كانت تجوب شبه الجزيرة شمالاً وجنوباً، وكذلك في أسواقهم الرائجة في أنحاء بلاد العرب آنذاك؟

وللإجابة عن هذا التساؤل لابد من إلقاء نظرة سريعة عن الحالة السياسية لبلاد العرب في تلك الفترة، فشبه الجزيرة العربية كانت مقسمة الى ثلاث مناطق نفوذ رئيسية، يتمثل القسم الأول منها في بلاد الحجاز وهو إقليم صحراوي مترامي الأطراف كانت تسكنه القبائل العربية البدوية التي تنتقل من مكان الى آخر بحثاً عن الماء والكأ، مع وجود بعض المراكز الحضرية القليلة والمتمثلة في المدن العربية مثل مدينة مكة ويثرب والطائف وغيرها، وهذه المناطق كما ذكرنا سابقاً لا توجد فيها أي نقود محلية الصنع يمكن استعمالها في التعاملات التجارية.

أما القسم الثاني من بلاد العرب والذي يتمثل في بلاد الشام شمال شبه الجزيرة العربية، وهذه المنطقة كانت خاضعة سياسياً للإمبراطورية البيزنطية، والتي كانت إمبراطورية مزدهرة سياسياً و اقتصادياً، وكانت نقودها المتمثلة في الدينار الذهبي البيزنطي رائجة في كل أنحاء العالم القديم، وكانت قوته مُستمدة من القوة السياسية للإمبراطورية العظمى آنذاك، أما الجزء الثالث والأخير من بلاد العرب فقد كان خاضعاً سياسياً لدولة الفرس، وكان يتمثل في بلاد ما بين النهرين (العراق)، وهذا الجزء شأنه كشأن بلاد الشام كان مزدهراً سياسياً واقتصادياً، لأن دولة الفرس كانت من القوي السياسية والعسكرية الأبرز في العالم القديم آنذاك، لذا فقد كانت عملتها المتمثلة في الدرهم الفضي من المسكوكات الرائجة في حركة التبادلات التجارية في كل أرض العرب (العنوسة، 2016، ص157-170) .

من هنا ... ولما كانت الدولتين البيزنطية والفارسية في أوج قوتها العسكرية والسياسية والاقتصادية في تلك الفترة، وفي ظل عدم وجود عملة خاصة بالعرب فقد كان من الطبيعي أن يكون الدينار الذهبي البيزنطي والدرهم الفضي الفارسي هما الوحدتان النقديتان التي كان على العرب استعمالهما في تعاملاتهم التجارية، إذ لا يوجد لديهم أي خيار آخر، بالإضافة الى أن البيزنطيين والفرس أنفسهم حرصوا على أن يكون العرب تابعين لهم سياسياً من خلال فرض التعاملات التجارية بواسطة نقودهم، ومن هنا ظل العرب تابعين لهم اقتصادياً وسياسياً، فالمتعارف عليه أن من يمتلك الاقتصاد ويتحكم فيه تكون له الكلمة العليا في المجال السياسي وهي القاعدة المتعارف عليها منذ أقدم العصور وحتى الوقت الحاضر .

المسكوكات والنقود والتعاملات التجارية قبل الإسلام كما تناولها القرآن الكريم والسنة:

يعتبر القرآن الكريم من أفضل مقاييس مصداقية التاريخ البشري على الإطلاق، فهو يحمل لنا الأحداث التي مرت على البشرية منذ بداية الخليقة، وحتى في مجال علم المسكوكات وتاريخ استخدام البشر لها، وكذلك التبادلات التجارية وأساليبها فالقرآن الكريم يعتبر مصدراً واضحاً لها، فمن خلال الكثير من الآيات أورد أحداثاً وقصصاً وثقت لنا بدايات تلك التعاملات وتفاصيل كثيرة عنها، ففي سرد القرآن مثلاً لقصة سيدنا يوسف عليه السلام يقول الله عز وجل :- (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) •

هذه الآية تحمل إشارات مهمة في عملية التبادلات التجارية والوحدات النقدية في زمن قديم جداً وهو زمن حدوث قصة سيدنا يوسف عليه السلام، فكلمة (ثمن) دلت على وجود التعاملات التجارية آنذاك، أما كلمة (دراهم) فهي دليل على نوع العملة التي كانت تتم بواسطتها المعاملات التجارية وهي الدرهم.

وفي مثال آخر يطالعنا القرآن الكريم في آية أخرى من سورة الكهف بدليل أكيد على رواج المسكوكات قديماً، حيث يقول تعالى :- (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) ••

فبالإضافة الى الإشارتين اللتين حملتهما الآية الأولى والمتمثلتين في وجود تعاملات تجارية وكذلك وحدة التعامل النقدي، تشير هذه الآية الى ناحية مهمة وهي المتمثلة في كلمة (ورقكم) والتي تشير بدليل أكيد على وجود نقود ورقية في ذلك الزمن البعيد، وأن التعامل النقدي لم يكن حكراً على المسكوكات المعدنية فقط، وهذه ربما إشارة من القرآن الكريم تؤكد عكس ما توصل إليه علماء المسكوكات من أن التعامل التجاري قديماً كان بواسطة النقود المعدنية دون غيرها.

من ناحية أخرى فقد وردت بالقرآن الكريم إشارات كثيرة عن التعاملات التجارية ووحداتها النقدية في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام وكذلك في العصر الإسلامي الأول، فباعتبار أن كل التعاملات كانت تتم آنذاك بالدينار الذهبي البيزنطي والدرهم الفضي الفارسي فالغالب أن كل إشارات القرآن الى هذين المعدنيين في كثير من آياته كانت إشارة واضحة الى المسكوكات، وقد ورد ذكر هذين المعدنيين في القرآن كلما جاء ذكر الأموال والممتلكات ومتاع الحياة الدنيا، وهو دليل آخر على أن المقصود بالذهب والفضة في الآيات الكريمة هو النقود، فعلى سبيل المثال يقول الله عز وجل :- (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

• الآية 20 من سورة يوسف

•• الآية 19 من سورة الكهف

وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ () ، وكذلك قوله تعالى :- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)**

أما في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد وردت إشارات كثيرة عن الوحدات النقدية التي كان العرب والمسلمون يتعاملون بها آنذاك، وقد كان الرسول يشير الى النقود وأنواعها بشكل مباشر وبمسمياتها الرئيسية وليس كما هو الحال في القرآن الذي اعتمد على الإشارة الى الذهب والفضة عندما يتحدث عن النقود المتداولة بين البشر، فقد ورد عن النبي (ص) مثلاً أنه قال :- (الدينار بالدينار ، والدرهم بالدرهم ، مثلاً بمثل ، من زاد أو ازداد ، فقد أرى)، وقوله:- (تَسَّ عبد الدرهم والدينار)، وكذلك قوله :- (أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا ولا دينار فقال: " إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار).

وفي مجال آخر وفي نفس السياق أشار القرآن الكريم الى العديد من المواضيع المتعلقة بالنقود والمسكوكات عند العرب قبيل الإسلام والعهد الإسلامي الأول، ففي تلك الفترة انتشرت ظاهرة الغش في المسكوكات المعدنية وأوزانها، فقد كان بعض ضعاف النفوس يقومون بقص أجزاء من العملات الذهبية والفضية ومن ثم يقومون بالتعامل بالنقود التي اقتصوا منها، وهذا إخلال واضح بالعملة إذ أن من أهم شروط صحتها هو وجود الختم عليها بالإضافة الى وحدة وزنها وعدم تعرضه للنقصان. ولمكافحة ظاهرة الغش في موازين النقود والمسكوكات بمختلف أنواعها استخدم العرب ميزاناً دقيقاً لوزن العملة والتأكد من عدم تعرضها للقص أو القطع، هذا الميزان كان يعرف لديهم باسم (القسطاس) وهذا المصطلح كثيراً ما ورد ذكره في القرآن الكريم للدلالة على الوزن الدقة في الوزن، حيث ورد في عدة آيات وبعده ألقاها منها : القسطاس والقسط والقسطاس المستقيم، فيقول الله تعالى:- ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾***، يقول تعالى:- (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)***

• الآية 14 من سورة آل عمران

•• الآية 34 من سورة التوبة

••• الآية 152 من الأنعام

•••• الآية 35 من سورة الإسراء

المسكوكات والنقود المتداولة في بلاد العرب قبل الإسلام :

لقد مرت المسكوكات والتعاملات النقدية عند العرب قبيل ظهور الإسلام وحتى ظهور أول عملة إسلامية في بدايات العصر الأموي بثلاث مراحل وهي بالترتيب كالآتي :-

أولاً- استخدام المسكوكات الأجنبية في التعاملات التجارية، هذه المسكوكات المتمثلة في الدينار الذهبي البيزنطي والدرهم الفضي الفارسي، وقد استمرت هذه المرحلة منذ ما قبل الإسلام وحتى بدايات العصر الأموي.

ثانياً -مرحلة تعريب السكة (العملة)، وتتمثل في محاولة الخلفاء المسلمين إعادة تصنيع العملات الأجنبية وإضافة بعض الرموز الإسلامية، واستبدال الرسومات والعبارات المسيحية التي كانت عليها برسومات وعبارات تتماشى مع الدين الإسلامي، وقد بدأت هذه الظاهرة مع بدايات العصر الأموي ولم تستمر فترة طويلة من الزمن.

ثالثاً - وهي المرحلة الأخيرة والتي ميزها ظهور أول عملة عربية إسلامية المتمثلة في الدينار الذهبي الإسلامي والذي قام بسكه الخليفة الأموي مروان بن عبد الملك في عام 77هـ، ومنذ ظهور هذا الدينار انتهت السيطرة الاقتصادية على العالم العربي والإسلامي بعد أن أنهت الفتوحات الإسلامية السيطرة الأجنبية السياسية قبل ذلك بفترة من الزمن (الباشا، 1990م، ص263)

- العملات النقدية الأجنبية

1-الدينار الذهبي البيزنطي

الدينار... لفظ مشتق من الكلمة اليونانية (دينيريوس / Denarius)، ومعناها عشر وحدات، هو وحدة النقد عند الدولة البيزنطية، فقد كان من عادة الأباطرة الرومان أن يقوم كل إمبراطور بضرب عملة مختلفة خاصة به، تحمل اسمه وصورته وتاريخ جلوسه على عرش الإمبراطورية، ولما كان الإمبراطور البيزنطي هرقل هو من عاصر الفترة الزمنية السابقة لظهور الإسلام، وكذلك الفترة الإسلامية الأولى فسنركز حديثنا في هذا المجال عن الدينار الذهبي البيزنطي الذي قام بسكه بعد توليه حكم الإمبراطورية والذي انتشر استعماله في كل بقاع بلاد العرب.

حيث شهد في تلك الفترة توسعاً ملحوظاً في تداوله التجاري (دحوح، 2017، ص2)، وكما ورد لفظ الدينار في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ورد ذكره كذلك في القرآن الكريم عندما قال الله تعالى في سورة آل عمران :- (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا

دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا)^٥، وهو دليل على اتساع حركة التعامل النقدي بالدينار الذهبي في فترة ما قبل الإسلام والفترة الأولى منه، حيث تذكر المصادر أن الإسلام أجاز استعمال الدينار البيزنطي كما هو في التعامل النقدي بين المسلمين وذلك بالرغم من أن هذا الدينار يحمل رسوماً ورموزاً منافية للإسلام منها صور الأباطرة ورسوم الصلبان والعبارات المسيحية التي تدعو بالألوهية لغير الله سبحانه وتعالى، حيث ورد عن الرسول (ص) أنه نهى عن العبث بالنقود وتغيير أو طمس معالمها، وأنه دخل في كثير من التعاملات الإسلامية والتي عُدت من العبادات، وعلى سبيل المثال فُرِضت الزكاة على الدينار الذهبي البيزنطي، فحدد مبلغ دينار واحد كزكاة مال على كل مائتي دينار، كما قَبِلَ الإسلام أن تُدفع مهور الزواج بهذه العملة .

دينار هرقل الذهبي ضُرب بمدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في أوائل القرن السابع الميلادي، وقد تم تداول هذه العملة بالدرجة الأولى في بلاد الشام وتركيا باعتبار التبعية المباشرة لهذه المناطق للسلطة السياسية البيزنطية، وبدرجة أقل انتشر الدينار الذهبي في باقي بلاد العرب والمتمثلة في بلاد الحجاز وجنوب الجزيرة العربية وذلك بحكم العلاقات التجارية المتداولة، والمصادر التاريخية تذكر أن للدينار الذهبي في عهد هرقل أجزاء منها النصف والربع والثلث، وكانت هذه الأجزاء تُسمى (فلوس) وهي مصنوعة من معدن الفضة وليس من الذهب (الباشا، 1990، ص263) ، وقد كانت هذه الفلوس الفضية معروفة في الأقاليم التابعة سياسياً للدولة البيزنطية كتركيا وبلاد الشام، في حين أنه لم يتم تداولها لدى العرب والمسلمين نظراً لعدم أهميتها التجارية بالنسبة لهم .

وإذا أردنا معرفة التفاصيل الفنية لمكونات دينار هرقل الذهبي فيجب الإشارة أولاً إلى أنه كان دائري الشكل يتميز بوزن وأبعاد ثابتة، وكان الإمبراطور هرقل يُخضع الدينار عند سكه إلى مقاييس وموازين دقيقة للتأكد من قيمته وجودته قبل دخوله في عمليات التبادل التجاري، فقد كان وزنه 4.250 غرام، وقطره 20 مليمتراً، أما سمكه فقد كان 2 مليمتراً، وهو -شأنه شأن أي مسكوكة معدنية -يتكون من وجه (وجه العملة) وظهر (ظهر العملة) وكلاهما يحمل رسوماً ورموزاً وإشارات وكتابات يمكن تفصيلها على الشكل الآتي:

وجه العملة: -ويتكون من صورة الإمبراطور البيزنطي هرقل أحياناً كان لوحده، وفي أحيان أخرى كان مع أحد أبنائه، أما الشائع في الدنانير الذهبية التي راجت في بلاد العرب فقد كان الدينار يحمل صورة هرقل يحمل في يده عصا المطرانية وهي أحد رموز الدين المسيحي، ومعه صورة ابنه هرقل يونس وقسطنطين وكان كل واحد منهم يضع تاجاً على رأسه، ويعلو كل تاج من التيجان الثلاثة رمز الصليب المقدس لدى المسيحيين والذي يُعتبر رمز العقيدة النصرانية، بالإضافة إلى وجود أرقام أعلى الأشخاص الثلاثة تشير إلى تاريخ سك هذه العملة.

• الآية 75 من سورة آل عمران

ظهر العملة: - وهو الوجه الخلفي للمسكوكة، ويحمل رسماً لصليب قائم على مدرجات أربعة، تحيط به عبارات دعاء والإشارة إلى مكان الضرب وهي مدينة القسطنطينية بالحروف اليونانية واللاتينية وبعض الدعايات الدينية اللاتينية (أنظر الشكل رقم 1).

2- الدرهم الفضي الساساني (الفارسي)

الدرهم... اسم مشتق من اللفظ اليوناني (دراخما) وهي وحدة التعامل النقدي عند الفرس الساسانيين، وعلى عكس الدينار البيزنطي المصنوع من الذهب فإن الدرهم عند الفرس كان مصنوعاً من معدن الفضة، وقد فسّر المؤرخين استعمال الفرس للفضة في صناعة مسكوكاتهم بتوفر هذا المعدن كمادة خام بكثرة في بلاد ما بين النهرين وإيران وهي الأقاليم الرئيسية التي نشأت فيها الإمبراطورية الفارسية، لذلك فقد عُرفت هذه العملة باسم الدرهم الفضي الساساني، كما عُرفت أيضاً بالدرهم الكسروي نسبة إلى كسرى ملك الفرس.

وكما هو الحال عند البيزنطيين فقد اعتاد كل ملك من ملوك الفرس سك عملة خاصة به بمجرد توليه عرش الدولة، لذا فقد شهدت التعاملات التجارية عند العرب عدة أنواع من الدراهم الفارسية في فترة ما قبل الإسلام والفترة الإسلامية الأولى نظراً لأن هاتين الفترتين عاصرتنا أكثر من ملك للإمبراطورية الفارسية آنذاك، وقد شهد الدرهم الفضي الفارسي رواجاً كبيراً لدى العرب والمسلمين، حيث يرى كثير من المؤرخين أن تعامل العرب بهذه العملة فاق نسبة تعاملهم بالدينار الذهبي البيزنطي نظراً للفرق الكبير في تكاليف الحصول عليهما والذي يعود إلى فارق القيمة الكبير بين معدني الذهب والفضة اللذين صنعت منهما كلتا العملاتين (دحدوح، 2017، ص2).

ويختلف الدرهم عن الدينار البيزنطي في عدم احتوائه على أجزاء، حيث عرفنا سابقاً أن للدينار أجزاء أصغر كالنصف والربع والتلث، لكن الدرهم كان يتم تداوله كوحدة واحدة دون أجزاء، كما أنه لقي - كما هو الحال بالنسبة للدينار الذهبي - عناية خاصة من قبل الملوك الفرس عند صناعته، فهو يتميز بأوزان وأبعاد ثابتة ودقيقة كانت الوسيلة لاكتشاف عمليات التلاعب والتزوير والغش التي تتم عادة في النقود والمسكوكات، فالدرهم الذي كان متداولاً في بداية الدعوة الإسلامية كان يزن 4.10 غرام من الفضة، وكان قطره 32مليمتراً، أما سمكه فيبلغ 1 ملليمتر، هذه الأوزان والأبعاد تعتبر ثابتة.

ويعتبر الدرهم مغشوشاً وغير قابل للتداول في التعاملات النقدية في حال اختل أي منها، و من الناحية الفنية فالدرهم ذو شكل ببيضاوي غير مستوي وليس دائري كما هو الحال في الدينار البيزنطي، ويحمل على وجهيه الرموز والأشكال والكتابات التي تحمل في طياتها المعتقدات الدينية وشكل النظام السياسي لدى الفرس وبعض الكتابات التي توثق عملية صناعة العملة من حيث تاريخها ومكان سكها، هذه المعلومات في مجملها منسقة بشكل دقيق على وجهي الدرهم بالشكل التالي :-

وجه الدرهم :- وهو كما ذكرنا سابقاً الجانب الرئيسي والأهم من المسكوكات المعدنية، وبالتالي فهو يحمل الرمز الأهم عند الفرس المتمثل في صورة الملك كسرى والتاج يعطو رأسه، وقد كُتب اسمه الى جانب الصورة باللغة الفهلوية وهي اللغة الفارسية القديمة، الصورة في مجملها موضوعة في مركز وجه العملة ويحيط بها إطارين دائريين زخرفيين متتاليين وظيفتها تحديد الشكل الدائري لوضع صورة الملك داخل الشكل البيضاوي، وبالإضافة الى الصورة والإطار الدائري يوجد على وجه الدرهم أربع أشكال موزعة الجهات الأربعة تمثل نقشاً لهلال ونجمة.

وقد استغرب كثير من الدارسين لتاريخ المسكوكات وجود هذا النقش على جل المسكوكات الفارسية باعتبار أن رمز الهلال والنجمة هو تقليد زخرفي ساد عند المسلمين أكثر من غيرهم من الشعوب الأخرى، حيث نشأه ملازماً للفنون المعمارية والزخرفية طيلة العصر الإسلامي، ولتفسير وجود هذا الرمز على الدراهم الفضية الفارسية يشير بعض المختصين في دراسته أن ذلك يعود الى معتقد قديم كان سائداً عند الفرس يشير الى أن إلتقاء كوكب الزهرة (والذي يمثلته نقش النجمة) مع القمر (والذي يمثلته نقش الهلال) كان يجلب الرزق والرخاء الاقتصادي للملك والشعب، وقد كان هذا المعتقد منتشرأ في بلاد ما بين النهرين وهو ما دعا الملوك الفرس الى تجسيده على مسكوكاتهم النقدية تيمناً بذلك المعتقد المشهور (دحوح ، 2017، ص2) .

ظهر العملة :- وهو الجانب الذي يأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الوجه الرئيسي للعملة، وهو غالباً ما كان يُخصص لتجسيد الرسومات والرموز التي لها علاقة بالجانب الديني والتاريخي للشعوب، وفي الدرهم الفارسي احتل رمز النار المجوسية المقدسة مكان الصدارة في ظهر الدرهم، فالمعروف أن الفرس هم شعب يدين بالديانة المجوسية والتي كانت النار المقدسة من أعظم مقدساتها، لذا فلم يكن هناك رمز ديني أعظم منها لديهم ليضعوه على ظهر عملتهم.

حيث نشاهد شعلة النار المقدسة محاطة بأشخاص يحملون أسلحتهم كانت مهمتهم حماية النار المقدسة من الأعداء، وكانوا يُعرفون في الديانة المجوسية باسم حراس النار المقدسة، وتحيط بتلك الرموز بعض الأرقام والكتابات المكتوبة باللغة الفهلوية والتي تشير الى مكان ضرب هذه العملة وكذلك تاريخ سك العملة وتاريخ جلوس الملك على العرش، هذه التفاصيل في مجملها محاطة بنفس الإطارات الزخرفية الدائرية المتتالية والتي شاهدها على وجه الدرهم، ولكن الاختلاف هنا أن عدد الإطارات على الظهر ثلاث إطارات، بينما كان عددها على الوجه اثنان فقط، وأخيراً نشاهد رموز النجمة والهلال خارج الأطر الثلاثة بنفس التوزيع الذي رأيناه على وجه الدرهم (انظر شكل رقم 2 أ-ب).

حركة تعريب العملة

ما المقصود بتعريب العملة؟

تعريب العملة أو تعريب المسكوكات هي حركة قامت بداية من عصر الخلفاء الراشدين على نطاق ضيق وترسخت بشكل كبير في العصر الأموي وبالتحديد في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65 - 86هـ)، وقد جاءت ضمن حركة تعريب شاملة هدفت الى تعريب الدواوين والنقود للتخلص من التبعية السياسية والاقتصادية للإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية، ولتحديد المقصود بتعريب العملة نقول أن معناها هو إزالة الشعارات والرموز والكتابات الدينية والسياسية التي كانت موجودة على العملات الأجنبية التي تداولها المسلمون في تبادلاتهم التجارية، واستبدالها بشعارات ورموز وكتابات تتماشى مع تعاليم الإسلام ولا تتنافى مع العقيدة الإسلامية .

فكما رأينا سابقاً عند دراستنا للدينار البيزنطي والدرهم الفارسي فإن تلك المسكوكات حملت إشارات بعيدة كل البعد عن الإسلام، تمثلت في الرموز المسيحية والمجوسية كأشكال الصلبان والنار المجوسية، ومع ذلك لم يأمر الرسول عليه السلام بتغييرها أو إزالتها من العملات نظراً لعدم توفر الإمكانيات التقنية والخبرة التي تمكن المسلمين من فعل ذلك، لكن ومع توسع النشاط التجاري في العصور الإسلامية التالية لعصر الرسول (ص) وتجذر العداوة بين الدولة الإسلامية من جهة والإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية من جهة أخرى بدأت تظهر الحاجة الملحة الى التخلص التدريجي من التبعية السياسية والاقتصادية لتلك الدول، فبدأت بمحاولات بسيطة في عهد الخلفاء الراشدين وتزايدت بعد ذلك بشكل ملحوظ الى أن وصلت أوجها في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان والذي انتهت في عهده مرحلة تعريب العملة وذلك عندما قام بضرب أول دينار إسلامي خالص وهو الدينار الذهبي الإسلامي أنهى به السيطرة الاقتصادية للأجانب على دولة الإسلام، وكان ذلك عام 77هـ (ماجد، 1999، ص41) .

بدايات حركة تعريب العملة :-

أشارت المصادر التاريخية الى وجود محاولات مبكرة لتعريب العملة وذلك في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (13 - 23 هـ)، فعندما رأى هذا الخليفة زيادة تعارض ما كان يُكتب على العملات من رموز ونقوش ومعارضتها لتعاليم الإسلام السمحة بدأ بتغيير بعض تلك الإشارات بإزالة بعضها وإضافة بعض الكتابات البسيطة التي تتماشى مع الدين الإسلامي، بدأها أولاً بإعادة وزن القطع النقدية المشكوك في اختلال وزنها عن طريق ميزان العملة آنذاك والمتمثل في القسطاس، وعندما كان يجيز القطع ذات الوزن الكامل منها كان ينقش عليها كلمة (جائز) أو (وافٍ) دون المساس بباقي الشعارات والرموز الأخرى، وبذلك كان الخليفة عمر بن الخطاب هو أول من أضاف الكتابات العربية الى المسكوكات الأجنبية (ماجد، 1999، ص41).

مع أن البحوث الأثرية لم تعثر حتى الآن على نماذج للمسكوكات التي قام عمر بالنقش عليها، أما في المرحلة الثانية فقد قام بإعادة نقش العملات النقدية الأجنبية بعد أن زاد فيها عبارة الحمد لله أو محمد رسول الله أو لا إله إلا الله وحده، كما أشارت المصادر إلى ضرب الخليفة عثمان بن عفان في عام 42هـ للدرهم الفارسية بعد أن زاد فيها عبارة التكبير (الله أكبر)، وفي بدايات العصر الأموي قام الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41 - 60هـ) بضرب الدرهم الفارسي ونقش عليها اسمه دون المساس ببقية تفاصيل العملة، كذلك ينسب بعض المؤرخين إلى معاوية بن أبي سفيان ضربه لدنانير ذهبية نقش عليها صورته وهو متقلد سيفه، وإذا صح هذا، يكون معاوية هو أول من ضرب صورته في العملات والنقود الإسلامية.

وعندما تولى الخليفة عبد الملك بن مروان السلطة في العصر الأموي (65 - 86هـ) نجح في توحيد الدولة الإسلامية بعد أن ظهرت العديد من الحركات الانفصالية عن جسم الدولة، ففضى عليها جميعاً وبذلك تركزت الخلافة والسلطة في يده، فكان عصره بحق عصر التوحيد، هذا بالإضافة إلى انتشار اللغة العربية في بلاد فارس ومصر وبلاد الشام، تلك الأقاليم التي كانت خاضعة للإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية، ومن أجل إتمام سياسة التوحيد التي بدأها منذ توليه السلطة كان لابد له من إجراء حركة شاملة لتعريب السكة ونقلها تدريجياً إلى العربية.

فبدأ بإجراء العديد من الخطوات المهمة لتعريب العملة بشكل تصاعدي، بدأها عام (73هـ) بتغيير جذري للإشارات والرموز الأجنبية الموجودة على العملات الأجنبية المتداولة، وإعطاء الشكل العربي والإسلامي لها، واستمر ذلك بشكل تصاعدي إلى أن قام بشكل نهائي عام (77هـ) بسك أول دينار إسلامي خالص منهيماً بذلك سنوات طويلة من السيطرة الاقتصادية لدولتي الفرس والروم على الاقتصاد الإسلامي، وذلك بعد التخلص من سيطرتهم السياسية على بلاد العرب .

ولكن قبل الدخول في تفاصيل حركة تعريب العملة التي قام بها عبد الملك بن مروان بين عامي 73 - 77هـ لابد من معرفة الأسباب التي دعت هذا الخليفة التي تعريب العملة، هذه الأسباب التي توزعت في محورين مهمين، الأول هو الأسباب غير المباشرة، والثاني هو الأسباب المباشرة لحركة تعريب المسكوكات: -

أولاً: - الأسباب غير المباشرة

وتعد هذه الأسباب هي الدوافع الحقيقية التي دعت عبد الملك بن مروان إلى البدء في تعريب العملة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1- الأسباب المالية والاقتصادية: وتتمثل في نقطتين مهمتين وهما:

أولاً / حاجة الدولة المتزايدة للأموال بعد اتساع حركة التبادلات التجارية فيها، لذا كان الخليفة عبد الملك بحاجة الى مصدر يعطيه تلك الأموال دون التقييد الذي كانت تفرضه الدول الأجنبية على حركة النقود في الدولة الإسلامية.

ثانياً / انتشار النقود المغشوشة والتي كانت ترد لبيت مال المسلمين من البلاد المفتوحة التي كانت خاضعة لسلطة الفرس والروم، هذا الأمر كان يهدد الاقتصاد الإسلامي بالانهيار، وهو ما دعا عبد الملك الى التفكير في تعريب العملة.

2- الأسباب السياسية: وتتمثل في النقاط الآتية:

أولاً / رغبة عبد الملك في التخلص من التبعية السياسية لدولتي الفرس والروم.
ثانياً / أراد عبد الملك بتعريب العملة انجاز مجد شخصي له من خلال إجراء لم يسبقه إليه أحد من الخلفاء السابقين.

3- الأسباب الدينية: ويمكن تلخيصها فيما يلي:

أولاً / اختلاف أوزان وقيمة النقود الأجنبية المتداولة بين المسلمين مما أدى الى الاختلاف حول قيمة الحقوق الشرعية المفروضة على الأموال مثل الزكاة والخراج.
ثانياً / وجود نقوش وعبارات على المسكوكات الفارسية والبيزنطية تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف مثل نقوش الصليبان والنار المقدسة وعبارة التثليث المسيحية (الأب والابن وروح القدس)، مما دفع بعبد الملك الى التفكير جدياً في تعريب العملة وإلغاء كل ما يتعارض مع الدين الإسلامي (السامرائي، 2007، ص ص 63-99).

ثانياً: الأسباب المباشرة

رغم تعدد الأسباب التي دعت عبد الملك بن مروان الى تعريب المسكوكات والتي ذكرناها سابقاً، إلا أن هذه الأسباب لم تكن كافية لإعلان عبد الملك البدء في العملية ، فالقوة الاقتصادية لدولتي الفرس والروم وانتشار التعامل بنقودهما بشكل كبير آنذاك جعله متردداً بعض الشيء، وكان يبحث عن ذريعة من أجل البدء في تعريب العملة، عند ذلك حدثت حادثة شهيرة عُرفت في كتب التاريخ الإسلامي باسم (حادثة القراطيس)، تفاصيل هذه الحادثة تتمحور في أن مصر كانت ومنذ أقدم العصور مصدراً مهماً للقراطيس، والقراطيس هنا هي الأوراق التي كانت تستعمل في المراسلات والكتابات بشتى أغراضها، وكانت معروفة باسم (أوراق البردي).

فعندما كانت مصر تحت السيطرة المباشرة للدولة البيزنطية كان البيزنطيين يبعثون بحاجتهم من تلك القراطيس الى عاصمتهم بيزنطة وباقي أنحاء العالم الإسلامي بعد أن يقومون بكتابة ترويسة أو عنوان في كل ورقة ، هذه الترويسة تتمثل في عبارة التثليث المسيحية (الأب والابن وروح القدس)، وبعد ما آلت مصر الى الدولة الإسلامية استمر هذا التقليد المتمثل في وضع عبارة التثليث على القراطيس الى أن جاء عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان والذي قرر استبدال عبارة التثليث بعبارة التوحيد ومن ثم إرسالها الى بيزنطة كما هي العادة.

إلا أن ذلك أغضب الإمبراطور البيزنطي جستنيان وأرسل رسالة الى عبد الملك يهدده فيها بكتابة عبارات مسيئة للإسلام وللرسول عليه السلام على المسكوكات النقدية أن هو لم يقم بإزالة عبارات التوحيد من عناوين القراطيس، مما دفع الخليفة الى استشارة الفقهاء حول قيامه بتعريب العملة حتى يرد على تهديد جستنيان فوافقوه على ذلك، وبالتالي كانت هذه الحادثة هي الذريعة التي اعتمد عليها عبد الملك في إعلانه بأنه سيقوم بتعريب المسكوكات الأجنبية بشكل مباشر ونهائي(كمال، 2018، ص ص 82-83) .

مراحل حركة تعريب العملة في عهد عبد الملك بن مروان:

كما ذكرنا سابقا فإن حركة تعريب العملة ومنذ بدايتها مرت بالعديد من المراحل، إلا أنها كانت أشد وضوحا منذ تولي الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان حكم الدولة الإسلامية، حيث أبدى قدراً كبيراً من الجدية جعله يقوم بخطوات مهمة من أجل التعريب، هذه الخطوات التي بدأت منذ عام 73هـ وانتهت بعد ذلك بأربعة أعوام أي في عام 77هـ بسك أول دينار إسلامي من الذهب على غرار الدينار البيزنطي، وأثناء هذه السنوات الأربع مرت العملية بعدت مراحل متسارعة نوجزها في النقاط الآتية: -

أولاً: تعريب الدينار البيزنطي

المرحلة الأولى:

ويمكن أن نطلق على هذه المرحلة التي بدأها الخليفة عبد الملك في عام 73هـ اسم مرحلة التحوير، إذ أنه قام بتحوير الدينار البيزنطي وتغيير بعض ملامحه الأصلية مستفيداً من النقوش التي كانت عليه في الأصل، فأبقى صورة الإمبراطور البيزنطي هرقل وأولاده قسطنطين وهيرقليانوس كما هي، لكنه قام بحذف الصليبان التي كانت تعلو الرؤوس الثلاثة الموجودين على وجه العملة، أما على ظهر الدينار فقد قام عبد الملك باختصار الدرجات الأربع التي كان يقف فوقها الصليب الى ثلاث درجات، وقام أيضاً بحذف القائم الأعلى من الصليب ليصبح الصليب هنا على شكل حرف T .

المرحلة الثانية:

وتتميزت هذه المرحلة التي امتدت بين عامي 74 - 75 هـ بظهور دينار بيزنطي ذو ملامح إسلامية، حيث أبقى مروان تفاصيل وجه الدينار كما هي في المرحلة السابقة، أما على الظهر فقد قام باستبدال شكل الصليب أعلى المدرج بشكل كرة، مع إضافة عبارات باللغة العربية تمثلت في عبارتي البسمة والتوحيد (بسم الله - لا إله إلا الله).

المرحلة الثالثة: -

وفي هذه المرحلة قام عبد الملك بن مروان بحذف صورة الإمبراطور وولديه من على وجه الدينار واستبدالها بصورته وهو يرتدي العباة العربية وممسكاً في يده اليمنى سيفاً، وقد طُوقت الصورة بعبارات التوحيد والبسمة، أما على ظهر الدينار فقد أضاف كتابات باللغة العربية بالخط الكوفي تشير الى مكان وتاريخ السك بالإضافة الى عبارة البسمة (المغلوث، 2009، ص 331-332)

وللاقترب أكثر من مرحلة التعريب النهائية التي وصل إليها الدينار البيزنطي الذهبي في عهد عبد الملك بن مروان عام 76 - 77 هـ (انظر شكل رقم 3) .

ثانياً :- الدرهم الفضي الفارسي

إن عملية تعريب الدرهم الساساني كانت على ما يبدو أكثر تعقيداً وصعوبة من تعريب الدينار البيزنطي، وذلك بسبب كثرة أنواع الدراهم الفارسية التي ضربت في زمن التعريب وهو زمن الخليفة عبد الملك بن مروان، هذا بالإضافة الى كثرة دور السك في بلاد فارس والتي قامت بضرب الكثير من أنواع الدراهم المختلفة في فترة ضعف وانحلال الدولة الفارسية، مما جعل عبد الملك يجد صعوبة كبيرة في الاعتماد على نوع محدد من الدراهم لكي يرتكز عليه في عملية التعريب كما هو الحال في الدينار البيزنطي.

لكن رغم ذلك فإن عملية الدرهم مرت كما هو الحال عند تعريب الدينار بعدة مراحل أساسية، هذه المراحل وبالرغم من عدم تحديد المصادر التاريخية لتاريخ بدايتها إلا أنها أجمعت على أن تاريخ الانتهاء منها كان بحلول عام 78 هـ، وهو زمن ظهور الشكل العربي الجديد للدرهم الفضي الفارسي، ويمكننا تحديد ملامح حركة تعريب الدرهم في عهد عبد الملك في الخطوات التالية :

المرحلة الأولى :-

في هذه المرحلة ترك عبد الملك شكل الدرهم كما هو، وكان آنذاك يحمل أسم وصورة الملك كسرى الثاني، إلا أنه كتب على محيط وجه العملة عبارة (بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله) وكتب أيضاً مكان

الضرب وهو مدينة دمشق، وترك ظهر الدرهم كما هو بما يحمله من نقوش ورموز أصلية تتمثل في شعلة النار المجوسية المقدسة التي يحيط بها الحراس المدججين بالسلاح.

المرحلة الثانية :-

في هذه المرحلة استبدل عبد الملك صورة النار المقدسة وحراسها بنقش صورته الشخصية مكانتها، فأصبح وجه العملة يحمل صورة الملك كسرى، أما الظهر فيحمل صورة الخليفة عبد الملك، وقد كتب حول صورته عبارات عربية بالخط الكوفي تحمل عبارة (أمير المؤمنين خلفت الله أو خليفة الله) (رمضان، 2008، ص56).

المرحلة الثالثة :-

وهي المرحلة الأخيرة لتعريب الدرهم، حيث ظهر بشكل عربي خالص دون أن يحتوي أي نقش من نقوشه الفارسية الأصلية، فقام عبد الملك بحذف كل الصور الموجودة عليه في المرحلة السابقة بما في ذلك صورته الشخصية التي كانت على ظهر الدرهم، ولم يحمل الدرهم في هذه المرحلة إلا مجموعة كتابات بالخط العربي الكوفي موزعة على الشكل الآتي :

الوجه : ويحمل في مركزه عبارة (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)، وحولها كتبت عبارة (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .
الظهر : وكتب في مركزه بنفس الخط الكوفي عبارة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، وحولها كتبت عبارة (بسم الله ضرب هذا الدرهم بدمشق في سنة تسع وتسعين) أنظر شكل رقم .

أول دينار إسلامي في عهد عبد الملك بن مروان :

لقد كانت المراحل التي مرت بها حركة تعريب الدينار البيزنطي خطوة مهمة على طريق سك دينار إسلامي خالص، هذه العملية التي استغرقت أربع سنوات من الزمن امتدت بين عامي 73هـ وحتى عام 77هـ، ففي الدينار التي سكت بين هذين العامين والتي اتخذت عدة أنماط من التعريب تراوحت بين التحوير البسيط في بعض ملامح الدينار البيزنطي وسارت بشكل متصاعد حتى وصلت إلى إزالة كل تلك الملامح نهائياً واستبدالها برموز إسلامية خالصة كان أهمها صورة الخليفة عبد الملك التي حلت محل صورة الإمبراطور هرقل، وكذلك الاعتماد على الخط العربي في نقش الآيات القرآنية والعبارات الأخرى التي تشير إلى مكان وسنة السك.

ومما تجدر ملاحظته هنا هو أن هذه العملية لا تعتبر تعريب كامل للعملة الأجنبية لأنها اتخذت من الدينار الذهبي والدرهم الفضي كمادة أساسية لإجراء تلك التحويلات، إذاً فلا يمكن اعتبارها مرحلة الظهور الأولى للعملة الإسلامية الخالصة، وهو الأمر الذي حدث عام 77هـ عندما أمر عبد الملك بالاستغناء تماماً عن العملة الأجنبية وضرب نسخة جديدة من المسكوكات ذات الصنعة العربية الخالصة، والمقصود بكلمة

عربية خالصة هنا هو أن تكون هذه المسكوكة مصنوعة بشكل كامل بأيدي عربية وتحمل نقوش وعبارات ورموز عربية، ومن هنا وابتداءً من هذا العام ظهرت للوجود النقود العربية لتنتهي عدة عقود من السيطرة الاقتصادية للأجانب على الاقتصاد الإسلامي من خلال استعمال الدينار البيزنطية والدرهم الفارسية .

الملاحظ عند دراسة ضرب الأول للدينار الإسلامي في عهد عبد الملك بن مروان هو أن الخليفة استغنى نهائياً عن الأشكال المصورة التي كانت توضع عادة على وجهي المسكوكة، فجاءت هذه السكة خالية من الصور وتحمل على وجهيها عبارات كتابية فقط كما سنرى لاحقاً، كما أن عبد الملك حرص بشدة على أن تكون عملية سك الدينار دقيقة جداً من خلال وضع وزن وأبعاد محددة وثابتة وذلك لضبط أي عملية غش من الممكن أن يقوم بها ذوي النفوس الضعيفة من أجل تزوير الدينار وضرب الاقتصاد الإسلامي، هذا بالإضافة إلى تحديد عبد الملك بن مروان لدارين فقط من أجل صناعة الدينار الجديد، واحدة في مصر والأخرى في دمشق، وفرض عليهما رقابة وصرامة ومنع ضرب الدينار في غير هذين الدارين .

سمي هذا الدينار الإسلامي الأول باسم (دينار 77 الأموي)، وسمي كذلك (دينار عبد الملك)، وهو عبارة عن مسكوكة دائرية الشكل مصنوعة من الذهب النقي، يبلغ وزنه بالتحديد 4.250 غرام، وهو نفس وزن الدينار البيزنطي، كما أنه صنع بقطر 22 ملمتراً وسمك بلغ 1 ملمتر، ووجهيه يحملان كما ذكرنا سابقاً كتابات عربية بالخط الكوفي دون وجود أي رموز أو صور، وهي على الشكل الآتي: -

الوجه: كُتب في مركز الوجه الرئيسي للدينار: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كما كُتب بطوق الدينار أو هامشه: محمد رسول الله أرسله بالهدى ونور الحق ليظهره على الدين كله.
الظهر: كُتب على ظهر الدينار عبارة: (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد)، وكتب بطوق الدينار أو هامشه: (بسم الله ضرب هذا الدينار في سنة سبع وسبعين) (كمال، 2018، ص84) انظر شكل رقم (6)

نتائج البحث:

خلصت الدراسة إلى ما يلي:

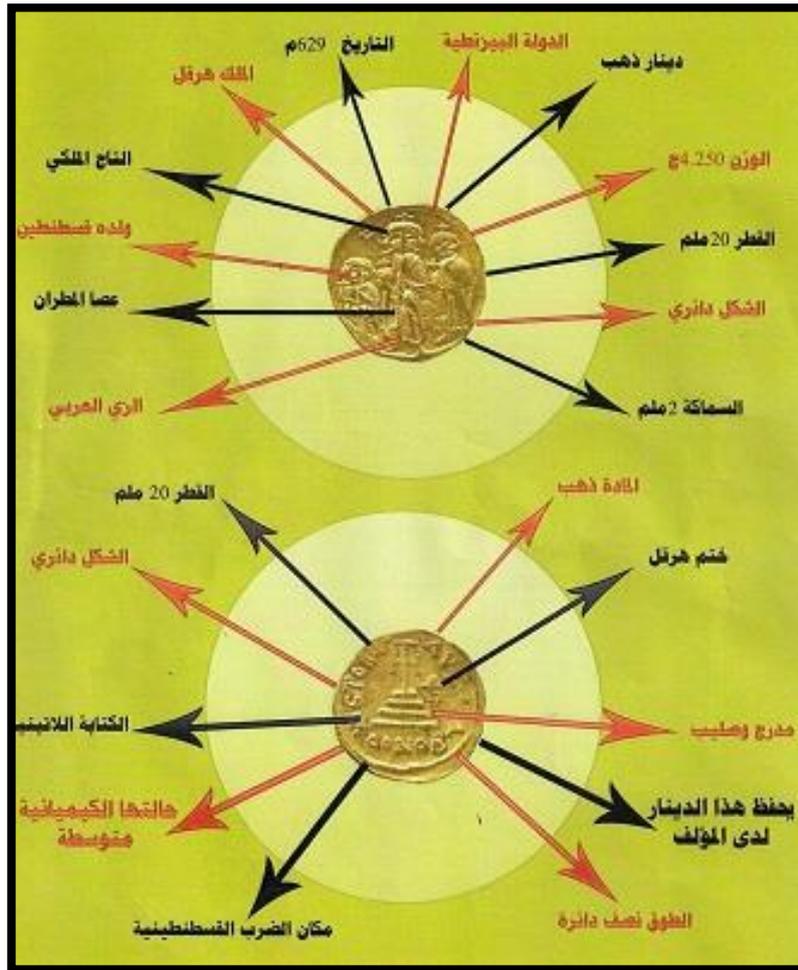
- 1- أن اكتمال النظام النقدي الإسلامي كان مصاحباً لتطور الحضارة الإسلامية، لذا فقد تدرج صعوداً حتى بلغ درجة الكمال في العصر الأموي.
- 2- حياة البداوة التي كان يعيشها العرب قبيل الإسلام وفي بداية الدولة الإسلامية، وعدم وجود الأيدي العاملة المتخصصة في ضرب المسكوكات، إلى جانب عدم وجود دور لضرب السكة، وكذلك انشغال المسلمون في صدر الإسلام بالفتوحات والجهاد في سبيل الله، كل هذه الأسباب كانت عائقاً حال دون أن يكون للعرب والمسلمين نظام نقدي خاص بهم في هذه الفترة.
- 3- القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية للفرس والروم وحرص هاتين الإمبراطوريتين على بقاء العرب في حال التبعية لهم جعل العرب قبيل الإسلام والمسلمون في بداية قيام دولتهم مترددين في الاستقلال النقدي خوفاً من الانهيار الاقتصادي الذي سيكون وبالاً عليهم في حال وقوعه.

- 4- التفوق العسكري الإسلامي في شبه الجزيرة العربية وشمال أفريقيا وبلاد ما بين النهرين كسر حاجز التبعية الاقتصادية وجعل المسلمين مؤهلين للاستقلال نهائياً بنظامهم النقدي.
- 5- الجانب العقائدي كان دافعاً لتطور حركة التعريب في العملة وتغيير الوسوم التي تحملها العملات الأجنبية المتداولة عند المسلمين.
- 6- شجاعة الخليفة عبد الملك بن مروان نقلت نهائياً الاقتصاد الإسلامي وبسرعة فائقة من مرحلة التبعية الى مرحلة الإنعتاق والاستقلال.
- 7- المعتقد الديني لعب دوراً كبيراً في تشكيل شخصية المسكوكات الإسلامية والوسوم التي تحملها من خلال تحجيم التصوير الأدمي والاتجاه الى التعبير الكتابي وتعظيم الذات الإلهية أولاً، ولتكون المسكوكة وما تحمله من وسوم أفضل رسول لسماحة الدين الإسلامي الى من يجهل ذلك انطلاقاً من أن المسكوكات هي مادة إعلانية ودعائية ودعوية للأفكار والمعتقدات عموماً.

قائمة المراجع

- 1- القرآن الكريم
- 2- أحمد سراج (2001) في التاريخ الروماني (نشأة الجمهورية). - دار صادر: بيروت.
- 3- حسن الشيخ (2004) دراسات في تاريخ الحضارة القديمة (2) الرومان. - الأسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- 4- حسن الباشا (1990) مدخل الى الآثار الإسلامية. - القاهرة: دار النهضة العربية.
- 5- سامي بن عبدالله المغلوث (2009) أطلس تاريخ الدولة الأموية. - الرياض: مكتبة العبيكان.
- 6- عاطف منصور رمضان (2008) النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية. - القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- 7- عبده ابراهيم أباضة (2011). "الوسم على السكة الإسلامية". - مجلة كلية الآثار بقنا، ع 6، ص 114-186
- 8- عبدالجبار السامرائي (2007). "حركة التعريب في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان". - مجلة سُر من رأى، مج 3، ع 8، س 3، كانون الأول (ديسمبر)، ص ص 63-99.
- 9- عبدالسلام كمال (2018) الحضارة الإسلامية ثقافة وفن وعمران. - القاهرة: دار بروج.
- 10- عبدالقادر دحدوح (2017) مدخل عام الى المسكوكات الإسلامية. - الجزائر: منشورات جامعة تيسمسيلت.
- 11- عبدالمنعم ماجد (1999) تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى. - ط 5. - القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- 12- محمد العناوسة (2016). "المسكوكات مصادر وثائقية للمعلومات في التاريخ الإسلامي". - مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 43، ع 1، ص 157-170
- 13- ناهض عبدالرزاق (1988) المسكوكات وكتابة التاريخ. - بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- 14- www.daralfiker.com/sites/default/files/books_first_chapter/lmskwkt_lslmy.pdf.P27

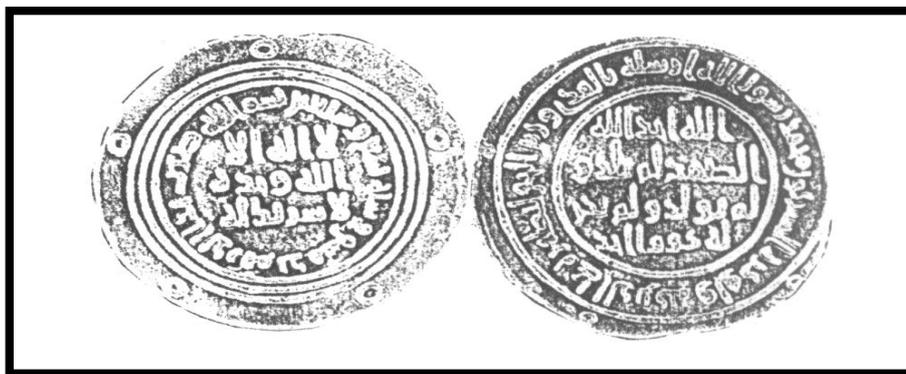
الملاحق



شكل رقم 1
شرح الدينار البيزنطي



شكل رقم 4
المرحلة الأخيرة من تعريب الدرهم 78 هـ



الوجه
الظهر
شكل رقم 5
مرحلة التعريب النهائي للدرهم الساساني



شكل رقم (6)

الملاح الفنية للدينار الإسلامي الأول (دينار عبد الملك 77)